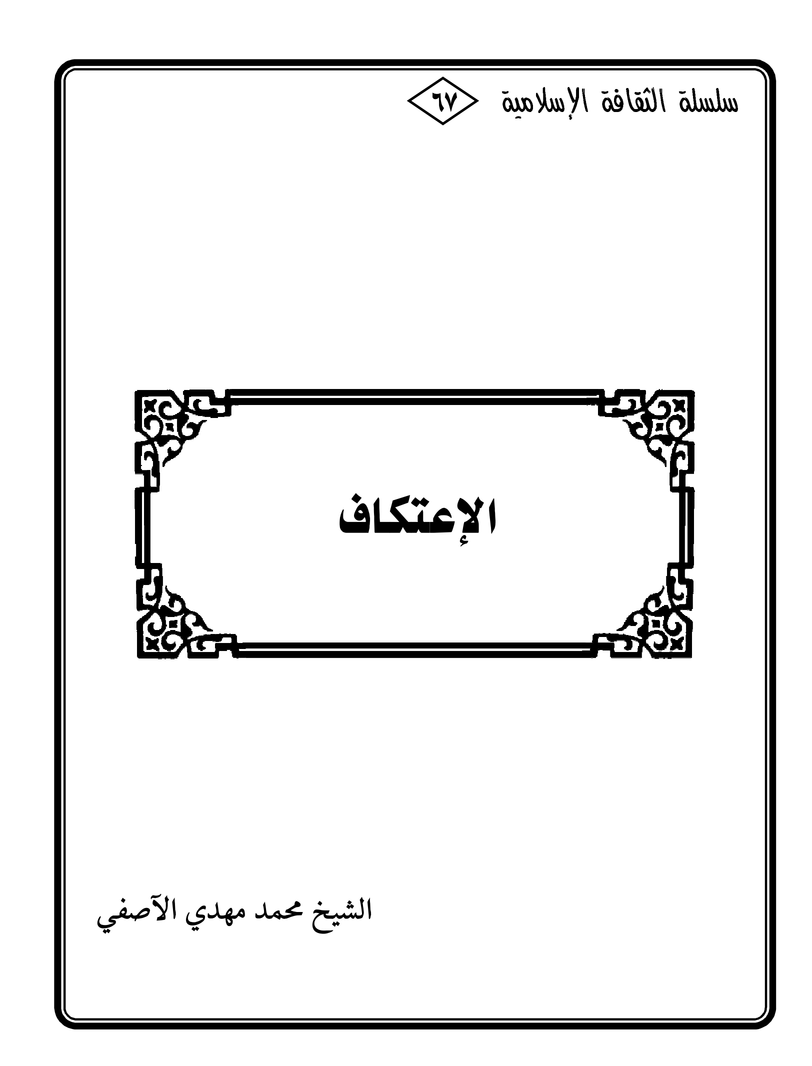


مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... الاعتكاف
المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي
تاريخ الطبع: .... ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م
الكمية .... ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

البقرة: ١٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة كانت في الأصل محاضرة ألقاها الشيخ الآصفي (حفظه الله) بمناسبة أيام الاعتكاف في شهر رجب قبل عدة سنوات في جمع من المؤمنين. سمعتها من شريط التسجيل، ثم استخرجتها على الورق ودونتها بهذه الصورة، لعل الله تعالى أن ينفع بها شبابنا المؤمن في الإقبال على هذه السُنّة الإسلامية التي حثّ عليها الإسلام والأديان السابقة على الإسلام.

(ع ـ أ)

تمهيد:

أصبح اليوم مواجهة الغزو الثقافي القادم إلينا من الغرب من اكبر همومنا واهتماماتنا الثقافية.

فقد اخترقت الحضارة المادية العديد من الحواجز الثقافية واقتحمت بيوتنا ومؤسساتنا الثقافية والإعلامية بآليّات متطورة وقوية.

ولمواجهة الموجة الثقافية القادمة إلينا من الغرب لابد من جهد جمعي واسع يعتمد تخطيطاً علمياً مدروساً وإعداداً وإدارة جيدة، كما لو كنا قد دخلنا معركة ميدانية في ساحة من ساحة القتال والمواجهة.. فلا تقلّ المواجهة الثقافية عن المواجهة العسكرية ضراوة وقساوة.

وللتخلص من نفوذ الثقافة المادية الغربية لا يكفي ـ بالتأكيد ـ فرض رقابة مشددة وسيطرة على الآليات الحديثة المتطورة التي تنقل إلينا هذه الثقافة المادية من الغرب، وإن كان لابد منها في الحدود الممكنة.

وذلك لان هذه الآليات أصبحت جزءاً من حياتنا ولا يمكن الاستغناء عنها، بل لا يمكن السيطرة عليها وفرض رقابة كاملة عليها مثل شبكة الفضائيات وشبكة الانترنت العالمية.

مع إيماننا بضرورة فرض الحد الممكن من الرقابة الثقافية

والسياسية والإعلامية على الثقافة القادمة إلينا من الغرب عبر هذه الشبكات التي تخترق كل الحواجز والحدود السياسية والإعلامية والجغرافية.

والمنهج المقاوم والمكافئ لهذا التحدي الثقافي هو تحصين الشباب من الجنسين تجاه الثقافة المادية القائمة على أساس التحلل والإثارات الجنسية الحادة وتسقيط القيم.

ومن أهم عوامل التحصين (التقوى) و(الذكر).

فان في التقوى وقاية كاملة للإنسان من عدوى الثقافات المادية القائمة على التحلل الخلقي والإباحية والتحرر من الالتزامات الأخلاقية والقيم الروحية والخلقية.

ويُعبّر القرآن الكريم عن هذه الخصلة في التقوى بـ (اللباس) فان اللباس يقي الإنسان ويحفظه من البرد والحر، ومن أنظار الناس ويستر عوراته الجسدية، كذلك التقوى يؤدي دور اللباس في حياة الإنسان، ولكنه لباس النفس والروح والعقل والضمير والعاطفة، أي الشطر السامي من كينونة الإنسان.. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[1].

ولـ (الذكر) دور مشابه في تحصين الإنسان فالصلاة من الذكر

(١) الأعراف: ٢٦.

بلا ريب. يقول تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[1] وهي تمنح الإنسان المناعة من الفحشاء والمنكرات. يقول تعالى ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[2].

ومن أبواب الذكر والعبادة التي تحفظ الشباب من التحلل الخلقي والسقوط والابتذال.. الاعتكاف فانه حالة من التفرغ للعبادة، والتأمل، والذكر، والصلاة، والصيام، والالتزام بمحرمات الاعتكاف، التي تروض الإنسان وتمنحه القدرة على ضبط النفس.

وهو سُنّة عريقة أكد عليها الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.. والآية الكريمة واضحة بأن الاعتكاف كان سنّة معروفة منذ عصر إبراهيم عليه السلام.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحرص عليه، فإذا فاته في عام قضاه في العام القابل.

وكان العلماء والصالحون يحرصون على إحياء هذه السُنّة، لكن هذه السنة اختفت مدة طويلة، ثم عادت في العراق وإيران والحرم الشريف المكي.

(١) طه: ١٤.

(٢) العنكبوت: ٤٥.

ففي الحرم المكي الشريف يعتكف المسلمون في شهر رمضان المبارك، وبشكل خاص في العشر الأخير من شهر رمضان وفي العراق وإيران يجري الاعتكاف في النصف من شهر رجب (في ليالي التشريق)، وقد ازداد إقبال الشباب من الجنسين في السنين الأخيرة على الاعتكاف في المساجد الجامعة في المدن الإيرانية في منتصف شهر رجب بحيث تضيق بهم الجوامع على سعتها وكثرتها، يتفرغون للصلاة والصيام والذكر والدعاء وتلاوة القرآن والتأمل والاستغفار.

١. تشريع الاعتكاف

يقول تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

الاعتكاف سُنَة إسلامية عبادية معروفة والآية الكريمة تشير إلى ذلك، وقد صرّح بذلك البيضاوي في التفسير[1]، والآلوسي في روح المعاني[2] وغيرهما من المفسرين.

واعتبر صاحبا (الحدائق والجواهر) الآية المباركة ١٢٥ من سورة البقرة من الأدلة على مشروعية الاعتكاف.

(١) تفسير البيضاوي ١: ٨٦.

(٢) روح المعاني ٢: ٦٨.

وقد ورد ذكر الاعتكاف أيضاً في الآية ١٨٧ من سورة البقرة: ﴿وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾.

وقد وردت في هذه السُنة أحاديث معتبرة منها:

ما رواه الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام بسند معتبر قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان العشر الأواخر اعتكف في المسجد، وضربت له قبّة من شعر، وشمّر الميزر وطوى فراشه»[1].

وفي كنز العمال عن أنس: «كان (النبي صلى الله عليه وآله) إذا كان مقيماً اعتكف العشر الأواخر من رمضان، وإذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين»[2].

٢. تاريخ الاعتكاف

يؤكّد القرآن على أنّ الاعتكاف تشريع قديم، ففي الآية ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ دلالة على أنّ الاعتكاف سُنّة إبراهيمية عريقة.

وفي سورة مريم ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا

(١) فروع الكافي ٤: ١٧٥.

(٢) ميزان الحكمة ٧: ٢٧٣٠، عن كنز العمال: ١٨٠٩١.

رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1].

يقول السيد الطباطبائي في الميزان: (إنّ من المحتمل أن يكون مريم في انقطاعها عن الناس كانت مقبلة على العبادة والاعتكاف ومنقطعة لذلك عن الناس)[2].

ويروي العلامة المجلسي في البحار إنّ سليمان عليه السلام كان يعتكف في البيت المقدّس سنة أو سنتان وشهراً وشهران وكان يأتون له بالماء والطعام[3].

وكان رسول صلى الله عليه وآله يعتكف ويضرب له خيمة من شعر كما ذكرنا، وكان إذا فاته الاعتكاف سنة قضاها في العام القابل.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «كانت بدر في شهر رمضان فلم يعتكف رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أن كان من قابل اعتكف عشرين، عشراً لعامه وعشراً قضاءً لما فاته»[4].

ومن اسطوانات المسجد النبوي اسطوانة السرير كان يوضع عندها سرير رسول الله صلى الله عليه وآله عند الاعتكاف، وقيل إنّ سريره كان يوضع عند اسطوانة التوبة.

(١) مريم: ١٦ ـ ١٧.

(٢) الميزان ١٤: ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) البحار ١٤: ١٤١.

(٤) فروع الكافي ٤: ١٧٥.

وهـذه الـسُنة كانـت قائمـة فـي العـصور المختلفـة وقـد حـرص حـرص العلمـاء علـى إحيائهـا والحـثّ علـى الالتـزام بهـا، وسـعى لإحيائها في العراق في مسجد الكوفة المقـدس الأردبيلـي والميـرزا حسين الخليلي وغيرهم من العلماء الذين كانوا يعتكفون في مسجد الكوفة.

وفي إيران كـان الـشيخ لطـف الله الميـسي العـاملي يحيـي هـذه السُنّة في عصر الصفوية وله في ذلك رسـالة (رسـالة مـاء الحيـاة) أو (الرسالة الإعتكافية) لتشجيع الناس على أحياء هذه السُنّة الإسلامية، وكذلك الشيخ البهائي كان يحرص على ممارسة عبادة الاعتكاف.

وفي عصرنا في العشر الأواخر من شـهر رمـضان نجـد المـسجد الحرام والمسجد النبـوي عـامرين بـآلاف المعتكفـين ولاسـيما مـن الشباب، وفي العراق يعمر مسجد الكوفـة بـالمعتكفين، وفـي إيـران تعمر المساجد كـذلك بعـشرات الآلاف مـن المعتكفـين فـي الأيـام البيض من شهر رجب (١٣، ١٤، ١٥).

٣. عمومية تشريع الاعتكاف

لا يخص تشريع الاعتكاف الرجال، وإنما يعم الرجـال والنـساء، وقـد ورد فـي حـديث معتبـر عـن الإمـام الـصادق عليه السلام فـي أحكـام

الاعتكاف: «واعتكاف المرأة مثل ذلك»[١].

والعبادات في الإسلام تحمل هـذه الـروح الـشمولية ولا تخص جنساً دون آخر.

يقـول تعـالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢].

وتـشمل عبـادة الاعتكـاف الـصبيان كـذلك، بنـاءً علـى الـرأي المعروف عند فقهاء الإمامية بصحة عبادة الصبيان، وبناءً على ذلـك ينبغـي تخـصيص مـساجد لاعتكـاف النـساء وإشـراك الـصبيان مـن الجنسين في هذه السُنّة الاسلامية، فإنّها فرصـة جيـدة لتربيـة الأولاد والبنات ووضعهم في أجواء عبادية وروحية.

وفي عصرنا حيث يقـوم الغـرب بحملـة حـضارية وثقافيـة علـى أجواءنا وشبابنا وبناتنا تعتبر ألأجواء الروحية مثل الاعتكـاف حـصناً

(١) وسائل الشيعة ٧: ٤٠٨: ح٢.
(٢) الأحزاب: ٣٥.

لشبابنا وبناتنا، وأعتقد أنّ من أفضل وسائل تحصين الشباب التأكيد على الأجواء الروحية والعبادية الاجتماعية مثل الاعتكاف والزيارات والعمرة والحج، وإحياء ليالي القدر ومناسبات ولادات ووفيات أهل البيت(عليهم السلام).

فإنّ للاجتماعات الموجّهة، المعدّة للذكر والصلاة والعبادة والعمرة تأثير خاص في انشداد الإنسان بالذكر وانفتاحه على الله تعالى، ولذلك ورد التأكيد في حضور الجماعات. وقد أوجب الله على الناس حضور الجمعات والحجّ والعمرة في حشود المؤمنين. وإنّ الإنسان ليلمس في مثل هذه الاجتماعات الموجّهة المعدّة للصلاة والذكر والعبادة، في نفسه الإقبال على الله والانفتاح ورقّة القلب والتفاعل مع الذكر ما لا يجده في غيره.

٤. فضيلة الاعتكاف

وقد وردت في النصوص الإسلامية أحاديث كثيرة في فضيلة الاعتكاف، وقد ذكرنا كيف كان رسول الله ﷺ حريصاً على الاعتكاف كل سنة، وإذا فاته سنة قضاه في العام القابل.

وكان زوجات رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين يشتركن في الاعتكاف مع رسول الله ﷺ كما كان الناس يشتركون في

الاعتكاف[١].

وروي عن رسول الله ﷺ: «اعتكاف عشر في شهر رمضان تعدل حجتين وعمرتين»[٢].

وعن رسول الله ﷺ: «من اعتكف إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].

وفي رسالة للإمام علي(عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر(رضي الله عنه) يذكر الإمام له اهتمام رسول الله ﷺ بالاعتكاف وقضاؤه له بعد عام بدر، وأنّه لم يترك الاعتكاف بعد ذلك، وأنّ رسول الله ﷺ اعتكف وكان ينزل عليه ماء المطر بحيث كان يتبين أثر الماء والطين على موضع سجود رسول الله ﷺ.

٥. فلسفة الاعتكاف

التحرك في الأسواق وساحات العمل جزء لا يتجزأ من الإسلام، ولا يأذن الإسلام للمسلمين بالتحلل عن مسؤوليات الحياة الاجتماعية والحياة العائلية، وبالتواكل والقعود عن الحركة في السوق وابتغاء الرزق من موارده التي أحلها الله تعالى وسخرها

---

(١) صحيح مسلم ٨: ٦٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٨٨.

(٣) كنز العمال ٨: ٥٣٠.

لعباده.

كما أن التصدي للمسؤوليات الاجتماعية والحضور في ساحة المجتمع أمر يريده الله تعالى لعباده على الوجه الصحيح المشروع.

ولكن هذه الحركة سواء كانت في الأسواق أو في سائر الساحات الاجتماعية تستهلك لا محالة شطراً كبيراً من طاقات الإنسان وتطلعاته واهتماماته الروحية، ويكون له دور عكسي في علاقة الإنسان بالله. وقليل أولئك الذين يعيشون في الدنيا، دون أن تستغرقهم الدنيا أو تملك على الأقل شطراً من اهتماماتهم وطاقاتهم الروحية وعلاقتهم بالله تعالى، وهاتان حقيقتان لابد من قبولهما، وهما:

ضرورة الدخول في الدنيا، والتأثير السلبي لهذا الدخول في علاقة الإنسان بالله.

وفي المنهج التربوي للإسلام نجد اهتماماً كبيراً بهذه المسألة فلا ينهى الإسلام عن الدخول في الدنيا، «وهو أمر يختلف عن التعلق بالدنيا، والإسلام يأمر بالأول وينهى عن الثاني. فلا ينهى الإسلام عن الدخول في الدنيا من المداخل التي أحلّها الله لعباده ولكن ينهى عن التعلّق بالدنيا»، وإلى جانب ذلك نعلم أن ضريبة الدخول في الدنيا هذا الاستهلاك الواسع لطاقات الإنسان الروحية وعلاقته بالله تعالى شاء أم أبى.

ولتلافي هذه التبعة الثقيلة التي تتركها الدنيا في نفس الإنسان وحياته وضع الإسلام منهجاً تربوياً متكاملاً يحفظ الناس من تبعات الدخول في الدنيا، من دون أن ينهاهم عن الدخول في الدنيا.

والصلاة شطر واسع من هذا المنهج، فإن الصلاة تنتزع الإنسان من الدنيا انتزاعاً قوياً وترفعه، لفترة محدودة عن اهتماماته ومشاغله الدنيوية، وتعيد إليه حالة التعادل بين الروح والجسم، وتحرّره ولو لفترة محدودة عن النزوع إلى الدنيا والاستهلاك فيها.. هذا إذا كان الإنسان يقبل على صلاته، وأمّا إذا كان يعاني من حالة الشرود النفسي في الصلاة، فإن تأثير الصلاة يقلّ في روحه وعلاقته بالله، بقدر شروده عن صلاته..

ومهما يكن من أمر فان الصلاة جزء أساسي من المنهج التربوي الإسلامي للتخلص من تبعات الدخول في حياة الدنيا.. وقد وزع الإسلام الصلوات على خمس مواقيت من الليل والنهار لتتكرر على الإنسان حالات الانقطاع عن الدنيا.

وقد ورد في السنن أن رسول الله ﷺ إذا دخل وقت الصلاة انعزل تماماً عن أصحابه وزوجاته فكأنهم لا يعرفونه، وكأنه لا يعرفهم.

ومن مارس الاعتكاف يعرف جيداً أن الحالة الروحية التي يدخل بها الإنسان المسجد للاعتكاف تختلف بصورة واضحة وملموسة من الحالة التي يخرج بها المعتكف من المسجد بعد ثلاثة

أيام أو أكثر.

فهو حينما يدخل المسجد يشعر بحالة الثقل والترهل النفسي الذي يلازمه في السوق والبيت والشارع.

وعندما يخرج من المسجد بعد ثلاثة أيام أو أكثر تفرغ فيها للصيام والصلاة والذكر والدعاء وتلاوة القرآن والتأمل يشعر بخفة الروح بصورة واضحة وملموسة.

فإن التفرغ للعبادة صياما وصلاة وذكراً ودعاءً وتلاوة لثلاثة أيام أو أكثر يعزل الإنسان بعازل نفسي عن الحياة الدنيا..

وهذا الاعتزال المحدود يحرّر الإنسان عن أواصر الحياة الدنيا، ويعيد العافية والنشاط إلى روحه بدرجة عالية، ويخفّف عنه كثيراً من القيود التي تثقله وتمنعه عن الارتقاء إلى حالة التعلق بالله والعروج إلى الله تعالى.

وتعبير القرآن عن القيود الدنيوية التي تثقل الإنسان وتمنعه عن العروج والصعود إلى الله دقيق. يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّه اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاة الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[1].

(١) التوبة: ٣٨.

إن الرضا بالحياة الدنيا والتعلق بها يثقل الإنسان ويشدّه إلى الأرض، ويعيقه عن العروج إلى الله، والدخول في الحياة الدنيا يستتبع كثيراً حالة الرضا بالدنيا والتعلق بها.. وقليل أولئك الذين يدخلون الدنيا دون أن يتعلقوا بها، وينشدوا إليها.. ومع ذلك فقد أمر الإسلام بالدخول في الدنيا من مسالك الحلال، ومن دون إسراف.

وعليه فان الدخول في الدنيا يثقل الإنسان ويعيقه عن الحركة والعروج إلى الله ﴿**اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ**﴾.

ولكي يتحرر الإنسان من هذا التثاقل المقيت الذي يلحقه في الدنيا لابد له من هذه الفترات التي ينقطع فيها عن الدنيا في بيوت الله لينقطع فيها إلى الله ويعيد إلى روحه نشاطها وعافيتها وقدرتها على الصعود والعروج إلى الله.

ومن ناحية أخرى: يتحصّن الإنسان في فترات الانقطاع عن ضواغط الهوى والفتن ووساوس الشيطان، ويكتسب مناعة عالية تصحبه بعد أن يخرج من المسجد ويدخل السوق والشارع، وإذا أحسن الإنسان التعامل مع هذه المناعة التي اكتسبها في أجواء المساجد أيّام الاعتكاف فإنها سوف تبقى له وتحفظه باستمرار.

ومن هنا فان للاعتكاف دوراً فاعلاً ومؤثراً في تحصين الشباب من عوامل الفتنة والإثارة التي يواجهونها في حياتهم.

وبقدر ما يتحرّر الإنسان من ذاته، ويتخلص من الاهتمام بها والانصراف إليها يتمكن من معرفة الله، وصفاته، وأسمائه الحسنى، والنظر إلى وجهه الكريم. وهذا وذاك متوازنان متعادلان[١].

ولذلك قلنا أنّ الاعتكاف في المساجد لفترة مؤقتة يتفرغ فيها الإنسان للعبادة في بيوت الله بصحبة الصالحين، بين حين وآخر يعيد التعادل والتوازن إلى شخصية الإنسان.

وقد كان الأنبياء عليهم السلام يمارسون الاعتكاف، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحرص على الاعتكاف.

والقرآن يشير إلى خلوة رسول الله موسى عليه السلام لمناجاة الله تعالى في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾[٢].

وهذا الحرص والتأكيد في رسالات الله على الخلوة لأمرين خطيرين وهما: أنّ الحياة الاجتماعية والاستغراق فيها تعزل الإنسان عن الله تعالى، أوّلاً، وتعزله عن نفسه ثانياً.

وهذا وذاك داءان ومرضان من أمراض النفس الإنسانية، وهما انفصاله عن الله تعالى، وانفصاله عن نفسه وبينهما علاقة وشيجة

(١) في رحاب القرآن ٧: ١٦٢.
(٢) طه: ٨٣ ـ ٨٤.

ونسبة. يقول تعالى: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[١].

والنسيان الأول هو الانقطاع عن الله تعالى، والنسيان الثاني هو الانقطاع عن النفس، والأول يستدعي الثاني.

إنّ الاستغراق في الهوى، والشهوات ولذات الدنيا يُنسي الإنسان نفسه وروحه، والقيم التي أودعها الله تعالى في نفسه، ولذلك ورد التأكيد في النصوص الإسلامية بالاقتصاد في النوم، والأكل، وشهوة الجنس وسائر حاجات الجسم في الحلال، فإنّ الهوى إذا طغى في حياة الإنسان يستهلكه، ويغطيّ هذا الجانب السامي من شخصيته، ويصبح محوراً لاهتماماته وسعيه وجهده[٢].

وخلواتٌ مثل الاعتكاف تعيد الإنسان إلى الله ثم إلى نفسه، ولذلك فمن المفيد أن يكثر الإنسان من هذه الخلوات ويستفيد منها حتى لا تستهلكه الحياة الاجتماعية.

وفي نفس الوقت فإنّ أمثال هذه الفرص ينبغي أن لا تعزل الإنسان عن الحياة الاجتماعية، وينبغي أن تتحرك هذه العلاقات الثلاثة في حياة الإنسان بصورة متناسبة: العلاقة بالله تعالى، والعلاقة

(١) الحشر: ١٩.
(٢) في رحاب القرآن ٤: ٢٣٥.

بالمجتمع، والعلاقة بالنفس.

ويتم تعديل الأنا بصورة كاملة، في التربية الاسلامية ضمن تحديد وتنظيم هذه العلاقات.

وقد أولى الإسلام هذه الدوائر الثلاثة من العلاقات في حياة الإنسان اهتماماً كبيراً، وإذا تمكّن الإنسان أن ينظم علاقاته مع الله ومع الآخرين ومع نفسه بالطريقة التي يشرحها ويوضحها الإسلام، يسلم من كلّ الأعراض التي تصيب الإنسان من ناحية (الأنا) و(الدنيا).

٦. مراقبات الاعتكاف ومقارناته

يقيم المعتكف في بيت الله ويمسك عن الطعام والشراب أثناء النهار بحكم الصيام، ويتفرغ للعبادة، فهي بذلك فرصة جيدة لتهذيب النفس.

بالإضافة إلى ذلك ينبغي للمعتكف أن يراقب نفسه مراقبة دقيقة حتى ينال أفضل ما يمكن أن يناله الإنسان من ثمرات الاعتكاف، فإن اللبث والصوم وحدهما لا يكفيان في تحقيق غايات الاعتكاف، ولابد أن يضم إليهما المعتكف طائفة من المراقبات والمقارنات المسنونة والواجبة المسنونة.

ومن هذه المراقبات:

١. إخلاص العمل لله والابتعاد عن الرياء والتظاهر.

عن رسول الله ﷺ: من اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله عزّوجلّ جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد ممّا بين الخافقين[1].

وروى أبو داود في السنن عن عائشة أنه ﷺ أراد مرة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، قالت: فأمر ببنائه فضرب، فلما رأيت ذلك أمرت ببنائي فضرب، وقالت: وأمر غيري من أزواج النبي ببنائه فضرب، فلما صلّى الفجر نظر إلى الأبنية فقال: ما هذه؟ البر تردن؟ قالت: فأمر ببنائه فقوض وأمر أزواجه بأبنيتهن فقوضن، ثم أخر الاعتكاف إلى العشر الأول يعني من شوال.

ويبدو أنّ الذي آذى رسول الله ﷺ حالات الظهور والبروز في الخيام والقبب المضروبة.

٢. الانقطاع عن الدنيا في فترة الاعتكاف.

في فترة الاعتكاف ينبغي أن يمارس المعتكف الانقطاع عن الدنيا وهمومها، وينشغل بشكل كامل بالذكر والمناجاة والتضرع والاستغفار.

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «يلزم المعتكف المسجد، ويلزم ذكر الله والتلاوة والصلاة ولا يتحدث بأحاديث الدنيا، ولا ينشد الشعر ولا

(١) كنز العمال: ٨.

يبيع ولا يشتري، ولا يتكلم برفث ولا يماري أحداً، وما كفّ عن الكلام فهو خير له»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ المعتكف لا يبيع ولا يشتري، ولا يجادل، ولا يماري، ولا يتحول من مجلس اعتكافه»[2].

٣. الكف عن المعاصي.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المعتكف يعتكف عن الذنوب، ويجري له من الأجر، كأجر عامل الحسنات كلّها»[3].

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمعتكف معتكف عن الذنوب».

وإذا كانت الروايات تنهى عن البيع والشراء في فترة الاعتكاف، فإن المعتكف لابد له ـ بالأولوية ـ أن لا يرتكب المعاصي، وإذا كانت هذه المباحات تعكّر عليه أجواء الاعتكاف وصفوه فإنّ الذنوب تلغي الاعتكاف تماماً.

٤. الإقبال على الذكر والدعاء والتلاوة.

عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «يلزم المعتكف المسجد ويلزم ذكر الله

(١) مستدرك الوسائل ٧: ٥٧٦.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ٨: ٥١٩.

(٣) كنز العمال ٨: ح ٢٤٠١٢.

والتلاوة والصلاة»[1].

وهذا هو روح الاعتكاف وجوهره، وهو التفرغ للعبادة والدعاء، والتضرع والصلوات والنوافل، وكل هذه الأمور قضايا أساسية في بناء شخصية الإنسان وتعميق علاقته بالله وإرفاده اليقين.

إنّ اليقين والإخلاص اللذين يمثلان أعلى درجات الإسلام لا يحصلان بالدراسة ومن خلال الكتب فقط وإنما بمجاهدة النفس وترويضها والمواظبة على العبادة.

يقول تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾.

وهذه العبادات تفتح منافذ قلب الإنسان على الله.

ومن شقاء الإنسان أن يعمّر عمراً طويلاً ثم لا يجد لذة العبادة، والأنس بالله والشوق إلى الله وحب الله تعالى.

وقد ورد في حياة علمائنا أحاديث كثيرة عن اهتمامهم الكبير بالتهجد والمناجاة في ظلمات الليل.

يقول أبو ليلى الجعفري (صهر الشيخ المفيد قدس سره) عن الشيخ المفيد: ما كان ينام الليل إلاّ هجعة، ثم يقوم ويصلّي أو يطالع أو يدرس أو يقرأ القرآن.

وكان الشيخ الانصاري يواظب يومياً على إحدى وخمسين

(١) دعائم الإسلام ١: ٢٨٧.

ركعة بالإضافة إلى الأدعية والتعقيبات وقراءة جزء من القرآن وصلاة الليل وصلاة جعفر الطيار وزيارة الجامعة وزيارة عاشوراء.

وقد ذهب الفيلسوف الإسلامي صدر الدين الشيرزاي ست مرات راحلاً ماشياً إلى الحج وفي المرة السابعة توفي بالبصرةرحمه الله غريباً لا يعرفه أحد ممن كان معه.

وكان الحاج المولى هادي السبزواريرحمه الله يواظب على إحياء الثلث الأخير من الليل.

ومن العلماء من أحيى ليلة القدر بالقطع لأنه أحيى الليالي سنة كاملة.

هذا الجانب العبادي جانب مهم في شخصية الإنسان، ولاسيما في فترة الشباب، ومن لا يتعرّف في هذه الفترة على لذة الدعاء والمناجاة والصلاة لا يجد بعد ذلك هذه اللذة في حياته.

ومن هنا ورد في بعض النصوص أنّ الشاب إذا قرأ القرآن خالط لحمه ودمه.

عن الإمام الصادقعليه السلام: «من قرأ القرآن، وهو شاب مؤمن، اختلط القرآن بلحمه، ودمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان حجيزاً عنه يوم القيامة»[1].

(١) الكافي ١: ٤٤١.

ومن الأعمال الواردة في أيام الاعتكاف صلاة ركعتين ليلة ١٣ رجب بسورة ياسين والملك في كل ركعة بعد الفاتحة وصلاة ٤ ركعات بسورة ياسين والملك في كل ركعة بعد الفاتحة في ليلة ١٤، وصلاة ست ركعات في ليلة ١٥ بنفس الترتيب في كل ركعة.

ومنها عمل أم داود في يوم ١٥ رجب الذي هو من أجلّ الأعمال وأفضلها في أيام البيض من شهر رجب. ذكره المحدث القمّي في مفاتيح الجنان في أعمال شهر رجب.

٥ ـ التأملات الذاتية

من مراقبات الاعتكاف (التأمل الذاتي)، ومعناه إجمالاً أن يتأمل الإنسان في نفسه وما وهبه الله تعالى من المواهب التي خصّ الله تعالى بها الإنسان، ولابدّ أن يُفرّغ الإنسان من وقته يومياً دقائق لذلك.

قال الله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[1].

لقد وعدنا الله تعالى ـ ووعده الحق والصدق ـ أن يرينا آياته في الآفاق وفي أنفسنا.. ورؤية آيات الله تعالى في الآفاق وفي أنفسنا

(١) فصّلت: ٥٣.

هي سبيل الإنسان ليعلم أنّ الله تعالى حق لا يشوبه باطل وريب.

فللإنسان إذن سبيلان إلى معرفة الله هما من أعظم السبل:

آيات الله في الآفاق من المجرّات والسحب الكونية الهائلة إلى الذرة المتناهية في الصغر.

وآيات الله في أنفسنا، وهي آيات عظيمة كثيرة تستحق الكثير من التأمل.

والذي يرزقه الله تعالى هذه الرؤية الذاتية يجد من داخل نفسه طريقاً واضحاً إلى الله لا يشوبه فيه التباس أو ريب.

إنّ الله وهب الإنسان في نفسه من المواهب ما يضيق به الكتب والمكتبات.

وكل واحدة من هذه المواهب سبيل إلى الله.

يتأمل الإنسان في إرادته. ما هذه الموهبة التي خصه الله تعالى به دون الجمادات والنباتات؟ إنّ فعله يخضع لإرادته، فهو يأكل ويشرب ويتحرك ويقف ويتكلم ويسكت بالإرادة، ما هي هذه الإرادة التي تجعله سيد جوارحه وأفعاله؟

ويتأمّل الإنسان في فهمه وعقله، فيقف مندهشاً أمام هذه الموهبة التي تمكنه من فهم الأشياء وتفسيرها والانتقال به من المعلومات إلى المجهولات في تسلسل منطقي منظم.

ويتأمّل الإنسان في (الأنا). من هو (الأنا)، وما هو؟ أهو جسمه وخلايا جسمه.. فإنها تتجدد وتتبدّل حتى لا يبقى من خلايا جسمه قبل سنين شيء، والأنا باقٍ لم يتغيّر، وتعهدات الأنا وذمته باقية؟ فماذا يكون الأنا هو الذي محور الذمّة والمسؤولية والتعهّد؟

ويتأمل الإنسان في حبه وبغضه، وفي حزنه وسروره، وفي سخطه ورضاه، وفي اطمئنانه وارتباكه، وفي يقينه وشكّه وريبه، وفي اطمئنانه وحيرته، وفي انبساط نفسه وانقباضها، وفي شجاعته وجبنه، وفي أنسه وألفته بأهله وأصدقائه واستيحاشه عمّن لا يعرفهم، وفي ذكائه وبلادته، وفي ضحكه وبكائه، وفي رحمته وقساوته، وفي بخله وجوده، وفي خوفه وأمنه، وفي هشاشته وكآبته، وفي قبوله ورفضه، وفي ضميره، ووجدانه، وفطرته، وتخيّله، وذاكرته، وما لا أعلم وما لا أطيق إحصاءه من الأوصاف والمواهب التي جعلها الله تعالى في نفس الإنسان وأضدادها.

والإنسان إذا تأمل في نفسه وقف على عالم واسع عميق، بعيد الغور، شاسع الأطراف، ويستغرق حينئذ في نفسه وما أودع الله تعالى فيها من العجائب والآيات والمواهب.

ويوصي علماء السير والسلوك طلاب المعرفة بأن يخصصوا وقتاً خاصاً بصورة منتظمة ومنهجية يومياً للدخول في أعماق أنفسهم،

ليتعلّموا التركيز في التأمّل في نفوسهم، ثم يتوسّعوا بمرور الزمن في هذا الاستغراق الذاتي في التأمّل والتفكير في الذات إلى أن يتمكنوا من التركيز في هذه الرؤية الذاتية والاستغراق فيها.

وسوف يجدون في أنفسهم طريقاً واضحاً، لاحباً، قريباً إلى الله تعالى.

وهو معنى قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾.

ولما كانت مشاغل الحياة ومشاكلها لدى أكثر الناس لا تسمح لهم بفرصة للدخول في أعماق الذات والتأمل والاستغراق فيها، فإن فرصة الاعتكاف تمنح الإنسان هذا التوفيق الذي يحتاجه الإنسان في طريقه إلى الله تعالى.

وعليه نوصي المعتكفين أن يخصصوا يومياً بعض وقتهم لعدة مرّات في كل يوم للاستغراق في أنفسهم والتركيز فيه.

وعندما تتكرر عليهم هذه المحاولات أيام الاعتكاف عشرة مرات أو أكثر يسهل عليهم بعد أيام الاعتكاف ممارسة حالة التأمّل الذاتي بمشقة أقلّ حتى يسهّل الله تعالى لهم ذلك، ويعينهم عليه.

كلمة العلامة المجلسي ﷺ في مراقبات الاعتكاف

يقول العلامة المجلسي في مراقبات الاعتكاف: (واعلم أنّ كمال الاعتكاف هو إيقاف العقول والقلوب والجوارح على مجرد

العمل الصالح، وحبسها على باب الله جل جلاله، ومقدس إرادته، وتقييدها بقيود مراقباته، وصيانتها عمّا يصون الصائم كمال صومه عنه، ويزيد على احتياط الصائم في صومه زيادة هو المعنى المراد من الاعتكاف والالتزام بإقباله على الله، وترك الإعراض عنه، فمتى أطلق المعتكف خاطراً لغير الله، أو استعمل جارحة في غير الطاعة لربه، فإنه يكون قد أفسد من حقيقة كمال الاعتكاف، بقدر ما غفل أو هوّن به من كمال الأوصاف)[1].

٧. أحكام الاعتكاف

زمان الاعتكاف ثلاثة أيام ويشترط فيها الصوم من الفجر إلى الغروب، ومكان الاعتكاف المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد الكوفة، وكل مسجد جامع.

والمسجد الجامع هو المسجد الذي لا يختص بمحلة وإنما تقام فيه الجماعة لكل البلد ومن الممكن أن يكون للمدينة أكثر من مسجد جامع مثل المدن الكبرى، فيمكن أن يكون فيها العديد من المساجد الجامعة.

ومن أحكام الاعتكاف عدم جواز الخروج من المسجد إلاّ

---

(١) البحار ٩٨: ١٥٠.

لحاجة ضرورية، وبمقدار الضرورة، ويستثنى من ذلك قضاء حوائج المؤمنين.

عن ميمون بن مهران قال: «كنت جالساً عند الحسن بن علي عليهما السلام فأتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ فلاناً له عليّ مال، ويريد أن يحبسني، فقال: والله ما عندي مال فأقضي عنك. قال: فكلمه، قال: فلبس عليه السلام نعله، فقلت له: يا ابن رسول الله أنسيت اعتكافك؟ فقال: لم أنس، ولكني سمعت أبي يحدث عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله عزّوجلّ تسعة آلاف سنة صائماً نهاره قائماً ليله»[1].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «والله قضاء حاجته (يعني الأخ المؤمن) أحب إلى الله عزّوجلّ من صيام شهرين متتابعين واعتكافهما في المسجد الحرام»[2].

(١) وسائل الشيعة ٧: ٤٠٩، ح ٤.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ٤١٤، ح ٣.

الفهرس